

عندما يفقد المثقف دوره ويصبح عميلا لأجهزة الأمن



أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي
مصري

في نظر هؤلاء، قديسًا يجب أن تغفر له جميع خطاياها، عمالًا بالحديث غير الثابت، الذي يطالبنا بذكر محاسن موتانا، وترجمته الحرفية أن ننسى ونتجاوز ونغفر ولا نذكر السيارات مهما عظمت ومهما تسببت في الآذى والشرف.

ما يحدث على أرض الواقع أنك إذا نكرت الحقيقة ستصبح ناقما كارها نافرًا عنيفا.. وتلتصق بك كل الصفات الشريفة. أما إذا انضمت إلى جوقه المنافقين وأعدت على "المرحوم" من الصفات ما لا يملك منها شيئا سوى أنه كان يتوَدّد إلى الجميع بابتسامته الخبيثة، يرحب بهم في مكتبه، لكي يحصل منهم على ما يريد من معلومات، فسيعتبروك شخصا مخلصا جميلا يمكن أن تشاركهم جلسات النسيئة.

صاحبك هذا كان يتوَدّد الزائف ونفاقه للصحافيين بوجه خاص وحرصه على الإغداق عليهم، يريد أن يصنع لنفسه جوقه من المثقفين والمثقفين، ويستعملهم وقت اللزوم ضد خصومه، في حين أنه عندما يقابل خصومه يتبسّم ابتسامته الخبيثة المصطنعة، ويبادرهم بالسلام والتحية كما لو كانوا من أعزّ أصدقائه.

ماذا سيكون موقفك عندما تكتشف أن "صديقك" الذي كنت تتعامل معه منذ سنوات في الحقل الثقافي والأدبي، صديقك وزميلك الناقد والكاتب والمؤلف الذي يتبوأ منصباً حكومياً ويسعى للصعود الوظيفي وقد يصل في وقت من الأوقات، إلى أن يصبح مرشحاً لمنصب الوزير، هو في الحقيقة كاتب تقارير بوليسية، قضى عمره الوظيفي يكتب التقارير على زملائه، ولاؤه الأول ليس لجماعة المثقفين بل للبوليس السياسي الذي يتخذ اليوم تسميات أخرى كثيرة لا تنفي طابعه القديم الذي كان أكثر وضوحاً ومباشرة. هذا المثقف أصبح بعد أن كبر، يملك أيضاً أن يمنح الكثير من المكاسب الصغيرة لصغار المثقفين، بفضل صلواته الوثيقة بأجهزة الأمن، وبعد أن ترسّس في كتابة التقارير البوليسية التي ينقل من خلالها يوماً بيوماً، كل ما يقال في مكتبه الذي يجتمع فيه الكثيرون من سبّتي النخب والفئات الثقافية، وبعد أن أصبحت الفترة تزدهم بالكثير من اللغط والترقب والصراع الشرس من أجل "الوصول" إلى الغايات الصغيرة عن طريق أقصر الطرق وأكثرها حقارة.

المثقف المحترم الذي يظهر على شاشة التلفزيون يتحدث ويلوك الكلمات ويفتي في ما يعرف وما لا يعرف، فتتاح له فرصة الكتابة في الصحف، والعمل في الإعداد التلفزيوني لعدة برامج، يصعد نجمه بسرعة ليتحوّل من مجرد موظف صغير بائس في إدارة من الإدارات الحكومية براتب متواضع، إلى رئاسة الهيئة أو المؤسسة التي يعمل لها، يخلق باباً في وجه أصدقائه القدامى لأنهم -حسب تصوّرهم- يمكن أن يجلبوا له المشاكل مجرد وجودهم معه بسبب ما يتكلمون فيه من مواضيع وتَسبّب القلق، وقد تتضمّن أحاديثهم أيضاً بعض الانتقادات، لا سمح الله، وهو ما لن يُرضي السادة الذين يرفعهم إليهم تقاريرهم.

أما أصدقاءه القدامى فهم موهومون بأن "صاحبهم" القديم لا يزال كما عهدوه في بداية تعرّفهم عليه قبل أن يدخل طواغية، تسوقه شهوته، في شرك اللعبة الكبرى، لعبة السلطة. هل يظل هذا الشخص في نظرك صديقاً؟ وهل ستظلّ تعتبره مثقفاً رفيعاً تكتب حضرتك عنه بتقدير واحترام وحب وتغفّل في جمال كتاباته وكتبه التي غالباً كتبها له غيره، ثم ترّحم عليه بعد أن يتوفاه الله، وتعتبره مفكراً عظيماً ساهم في رفعة الثقافة وإنقاذ الفنّ من عقرته عن طريق تدخلاته لدى جهات الأمن؟

قلائل للغاية هم من يقولون الحقيقة ويرفضون الوقوف في صف المهزّجين والانتهازيين، الذين يعرفون حقيقة هذا الذي كان صديقاً، لكنهم يدارون ويتظاهرون بأنهم لا يعرفون، وبأن الرجل في الحقيقة، كان يقدم خدمة للثقافة عن طريق كتابة التقارير، حتى لو أصابت بعض أصدقائه بالأذى وحرمتهم من العمل ودفعتهم للفرار خارج البلاد بسبب التضيق عليهم، ثم لا بد أنه سيصبح بعد وفاته



الجرح حي، لكن الشعور به تجلّد

الحرب اللبنانية وآثارها على البيئة والناس في معرض تجهيزي

«عدّ النجوم، عدّ البشر» حالة حضرت بمرارة في أعمال ندى صحنوي

وعلقت الفنانة اللبنانية ندى صحنوي في معرضها جنباً إلى جنب و"كرّرت" تعليق المصمصمات الكنبية: دوليب سيارات وعوادم سيارات مُحطمة وخزانات وقود واشكمانات على جدران الصالة بعد أن سجّتها تحت طلاء أبيض أحالها إلى أيقونات حيّة. فالجرح حي، لكن الشعور به قد تجلّد.

أما أولياء الحرب اللبنانية فما زالوا حاضرين بهاماتهم النثنة خلف الأعمال الفنية مع اختلاف بسيط: هم ذاتهم، ولكن قد اشتغل الشيب في رؤوسهم كما اكتسح الطلاء الأبيض سواد الكوتشوك الملوث وصدا الآلات الملوثة.

الأنفطع من كل ذلك أن السؤال الذي بدا أن الفنانة تطرحه في معرضها عبر عنوان "كم، وك بعد" هو سؤال مُجاب عليه مُسبقاً، مُجاب عليه في اللوائح/ اللوحات الشعائرية الكبيرة التي وثقت كالتدوين المرتعشة تعداد الأيام القاهرة التي توفقت عن التزايد أو التناقص في أوائل التسعينات من القرن الفائت. توقفت ولكن كما تتوقف الساعات لإعلان حالة التكرار السقيمة إلى أجل غير مُسمى.

وكانت في المعرض سيدة للأعمال الفنية جميعها: لوحة/ لأثمة مشغولة بشكل طاع بالأسود والابيض، لوحة تجسّد "تعداداً" لأيام كمثل لوحات أخرى في المعرض، لكن ما ميز هذه اللوحة عن غيرها أن صغيها كاملاً قد اجتاحتها جاعلاً الأيام المعدودات أياماً كسادة وتالفة لم تعد تعني لأحد شيئاً بعد تنالي الكوارث في لبنان والمنطقة العربية ككل. لوحة مُسخّت فيها أيام الحرب اقزاماً ضئيلة هي بأشكال قطع من قش نجا من الطوفان، فقط، ليؤكد على حدوته.

وأمام هذه اللوحة تفاجئ الزائر بنفسه وهو يبدن بتهكم غريب مقطع من أغنية وردة الجزائرية "عدّ النجوم، عدّ البشر، روح وتعالاً تلاقيني هنا، تلاقيني أنا...". إنه الموت العابر.. الموت العادي جداً.

المتعددة: البيئية والاجتماعية والأمنية والسياسية والنفسية، حيث لم تظهر في المعرض نتائج الحرب أو غياب الذاكرة الجماعية بقدر ما ظهرت إرهابات الحرب وخوارقها.

والخارق فيها على الأرجح محور تفصيلاً حول تلك الاستثمارية المقيمة للحرب التي تخضّت الأربعين عاماً، وهي تتخضّر للمزيد من السنوات مع اشتغال المنطقة بازّمات خانقة وتحوّلات عظمي اعتاد لبنان أن يكون دائماً جزءاً منها، ولاسيما جزءاً من كوارثها وليس أفرعها.

مجسمات كنبية

أشارت الفنانة اللبنانية إلى تلك المعايير والإفكار باستخدامها للون الأحمر الذي لم يهدر طاقته الزمن، وباستخدامها لمجسمات كثيرة علّقها على جدران الصالة لخزانات وقود وأشكمانات سيارات ملوثة للبيئة.

المعرض نص مفهومي «بارد» تعبر فضاء بضعة غيوم غنائية ماطرة اعتادت على أن تهطل بخبيباتها دون أن تتبلل به

ومن ناحية ثانية: يشعر زائر المعرض، لاسيما إن كان هو أيضاً من جيل الحرب، أن الفنانة أخذت بيده من جديد إلى الساحة القاتمة التي دمرت جزءاً من حياته ليس لتذكره بها أو بانارها المكتملة في حياته اليومية، بل لكي توكّد له و"يديم بارد" أن ما كان "حرباً" لا يزال مستمراً ويتفّن الآن في إعادة صناعة ذاته بأشكال وحوش جديدة هي أزمان: التلوّث والفساد والكهرباء والماء والأمن وغيرها.

أطلقت الفنانة اللبنانية متعددة الوسائط ندى صحنوي عنوان "كم، وك بعد" على معرضها الأخير الذي أقامته في صالة "ثانيت" البيروتية. والعنوان يُشير إلى عدد السنوات من ناحية، وعدد الضحايا من ناحية ثانية التي يجب على اللبناني أن ينتظرها ويقدمها حتى يحل السلام الحقيقي الذي لا سبيل إليه دون مواجهة الذاكرة الجماعية والفردية على السواء، الذاكرة التي استفاضت الكتابات التحليلية عن غيابها وتكميم فاهها، وخاصة من قبل أولياء أمور الحرب اللبنانية وفصولها.



ميموزا الراوي
ناقدة لبنانية

بيروت - ضمّ المعرض الأخير للفنانة اللبنانية متعددة الوسائط ندى صحنوي لوحات كبيرة الحجم معلقة على جدران صالة "ثانيت" البيروتية الشاهقة ذات الثلاث قاعات المفتوحة على بعضها.

وحوش جديدة

لوحات ندى صحنوي مشغولة بمواد مختلفة كالأكرليك والباستيل والفحم وأقلام الطباشير دخلت إلى بعضها مقطّعات من صور فوتوغرافية وكتابات وإشارات أفقية وعمودية مقترضة ذكرت بكتابات مُهممة بخط يد سجناء يعنّون أيامهم نقشا أو حفرا على الجدران.

وإضافة إلى ذلك وظفت صحنوي في أعمالها المعنونة بـ"كم، وك بعد"

كتابات لعناوين وصفحت متفرقة بعضها غير مقروء. كما شمل المعرض أشياء من قبيل ساعات ومجسمات وعرضاً لتشريط فيديو ذكر بما قدمته الفنانة سابقاً من أعمال تجهيزية تدور حول الحرب اللبنانية وآثارها.

كما عثر زائر الصالة على غزارة في العناصر الموظفة رمزياً في المعرض كخزانات الوقود ودواليب السيارات، لتكتف ما أزدت الفنانة التعبير عنه، وهو كما تقول "نداء للمصالحة والتصالح.. المعارض هو قسيدة للبنان البلد المشغّل والمغتال".

ليست هي المرة الأولى التي تناولت فيها الفنانة اللبنانية ندى صحنوي موضوع الحرب اللبنانية وإن تكون على الأرجح الأخيرة، فلدى جيل الحرب اللبنانية فيض من الأفكار والمشاعر التي لا تتعب ومحوها الحرب بكل ما تعني هذه الكلمة من مناقات شخصية وأحوال عامة، وتحوّلات لا يغيب عنها أي أسلوب من أساليب التعبير الفني وصولاً إلى الديجيتالية البحتة.

ومعلوم أن بعض الفنانين التشكيليين اللبنانيين الذين لا ينتمون إلى جيل الحرب عالجوا بدورهم موضوع الحرب، وهؤلاء ينتمون، إذا صح التعبير، إلى مجموعة صور فوتوغرافية ونكريات منقولة أعددوا إحياءها مُلححة بخيال مهيش.

في المقابل، يبقى نص فناني جيل الحرب اللبنانية أكثر بلاغة وتنوعاً، ونص ندى صحنوي الفني هو واحد من أهم تلك النصوص الفنية، فهو يملك طابع الجرح الطازج مع طمس الوجود المباشر الناتج عنه.

وربما لأجل ذلك جاء معرضها الأخير تأكيداً على هذه القدرة الذهنية لدى فناني جيل الحرب في صياغة نص مفهومي "بارد" تعبر فضاء بضعة غيوم غنائية ماطرة اعتادت على أن تهطل بخبيباتها دون أن تتبلل بها.

ونمة ظاهرتين برزتا بشدة في معرض الفنانة اللبنانية المخضرمة، وكادا أن يؤلّفا نقلة نوعية في مسارها الفني. الظاهرة الأولى: تمحورت حول تصميمها لمعرض فني سردي وبإصرار استثمارية الحرب في لبنان وبوجوهها

مسرحية «على سبيل المثال» تجوب المغرب

كما طبع العمل المسرحي مشاهد فنية وفكاهية متميزة تجاوب معها الجمهور في فترات مختلفة من العرض المسرحي. وحملت مسرحية «على سبيل المثال» نهاية الأسبوع الماضي بإقليم بولمان، ثم مدينة فاس، وستعرض وسط هذا الأسبوع بإقليم إفران، وسيتمّ عرضها بمدن ومناطق مغربية أخرى لاحقاً.

المثال» فيختار زوجته للعب دور البطولة فيه. وتعالج المسرحية مجموعة من القضايا الإنسانية المجتمعية الأتية بطابع كوميدي ورسائل نقدية ساخرة لعدد من المظاهر والظواهر المنتشرة في المجتمع أو أحداث ما زالت قيد النقاش لدى الرأي العام، في محاولة لتقديم بعض الاقتراحات والبدائل لتفادي تكرارها،

سيفاني، وقام بتأليفها الفنان محمد الجم، وأخرجها أحد رواد المسرح المغربي الفنان محمد خدي. وقد تفاعل جمهور مدينة فاس، مع هذا العرض الذي يحكي تجربة زوجين، رجاء وحميد، مع الإبداع المسرحي، وفي لحظة ما يتمكن الزوج من الحصول على دعم لعمله المسرحي "على سبيل

فاس (المغرب) - كان جمهور العاصمة العلمية للمغرب، فاس، الأحد، على موعد مع العرض المسرحي "على سبيل المثال"، لجمعية إغمران بمشاركة مع المسرح الوطني محمد الخامس، و بدعم من مجلس جهة فاس مكناس. وشخص أدوار البطولة في مسرحية "على سبيل المثال" فاطمة الزهراء أحرار وأمين



فيلم «البريء» عن مفاوضات السلطة في تلاحبها بالمثقف